# أسرار المناسبة في القصة القرآنية
# قصة موسى نموذجا
# (الجزء الثاني)

**د. منى بنت فهد أحمد النصر**

**أستاذ البلاغة والنقد المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها**

**كلية الآداب – جامعة الدمام**

mfalnasser@uod.edu.sa

تاريخ التحكيم: ١٤/ ٧/ ١٤٣٧     تاريخ الإفادة: ١٥/ ٨/ ١٤٣٧

**المستخلص:**

لقد بُني هذا البحث على صورة من صور التناسب بين الحادثة من القصة القرآنية ومقصود السورة، من خلال أحداث قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حسب ترتيب ورودها في المصحف، وأحسب أنها قد أماطت اللثام عن بعض لطائفها البلاغية، وخلصت إلى أنها بأحداثها وتوزيعها كانت مقدرة ومفصلة على مقاصد السور وسياقاتها، كما خلصت إلى صلتها الوثيقة بالدعوة الإسلامية في مراحلها المختلفة، كما أبانت عن أهمية معرفة المقصود والسياق ودور خصائص النظم في الكشف عن أسرار هذه الصورة من صور التناسب القرآني.

**الكلمات المفتاحية:**

المناسبة، القصة، السياق.

## المقدمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيه الذي اصطفى، وبعد:

**علم المناسبة** علمٌ من علوم القرآن جليّ، وباب من أبواب البلاغة لطيفٌ خفيّ؛ يبحث في وشائج القربى بين عناصر القرآن، وعلل ترتيب أجزائه، و«به يتبين لك أسرار القصص المكررات، وأن كل سورة أعيدت فيها قصة فلمعنى ادعي في تلك السورة، استُدِل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقت له السورة السابقة، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب الأغراض، وتغيرت النظوم بالتقديم والتأخير والإيجاز والتطويل مع أنها لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكونت به القصة»(١)

ومن هنا جاءت عنايتي بدراسة مناسبة الحدث الجديد الذي تصطفيه السورة من القصة لمقصودها بالتطبيق على قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كونها أكثر القصص ورودًا في القرآن.

### شرح مصطلحات الدراسة:

#### علم المناسبة:

معناه في اللغة: المشاكلة والمقاربة ومرجعها في الآيات إلى معنى رابط بينهما عام أو خاص(٢) وفي الاصطلاح عرفه البقاعي بأنه «علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لما اقتضاه الحال»(٣)

---

(١) نظم الدرر: ١/ ١٤.

(٢) ينظر: لسان العرب مادة (ن س ب)؛ البرهان في علوم القرآن: ١/ ٣٦؛ الإتقان في علوم القرآن: ٣/ ٣٢٣.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١/ ٦؛ مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: ١/ ١٢٤.

وهذا يحقق عنده «الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ماله بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب»[١] وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التآلف حاله حالُ البناء المحكم المتلائم الأجزاء[٢].

## القصة القرآنية:

**القِصة والقَصص** بفتح القاف: الخبر المقصوص، من قص الشيء يقصه، إذا تتبع أثره، ومنه ﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا﴾[٣]، ﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ﴾[٤]، وبذلك يتبين أنها في اللغة من القص، وهو التتبع والتقصي والسرد[٥]. وإذا كانت القصة البشرية تعتمد على الخبر التاريخي، أو على الخيال، فإن القصة القرآنية لا تعتمد إلا على الوقائع الحقيقية وحسب، فلا زيف فيها ولا خيال، وهي إحدى وسائل القرآن في التربية والهداية، ومع ذلك فقد تميزت بخصائص فنية لا تعنينا في هذا المقام بقدر ما يهمنا موضوع المناسبة، وإنها وإن كانت تتخذ مادتها من الواقعة التاريخية، فإنها تأخذ منها الجانب الذي يخدم السياق، وتسلط الضوء على الجزء الذي يحقق المقصود من السورة مع وتقدمه في قالب فني جميل، وهذا هو قمة الإعجاز.

---

(١) السابق.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١/ ٣٦؛ الإتقان في علوم القرآن: ٣/ ٣٢٣. وللباحثة دراسة بعنوان (التناسب في القرآن الكريم - صوره وأسراره البلاغية) بحثتْ التناسب في التراث البلاغي والنقدي وعلماء التفسير، ثم دراسة تطبيقية لصور التناسب بدءًا باللفظ وانتهاءً بالتناسب السياقي للقرآن.

(٣) الكهف آية (٦٤)

(٤) القصص آية (١١)

(٥) ينظر: لسان العرب؛ ناج العروس، الزبيدي، مادة (ق ص ص)

**السياق:**

ومعناه في اللغة من التتابع دون انقطاع، يقال ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحدة، أي: بعضهم إثر بعض، ليست بينهن جارية.. والسياق نزع الروح، وتساوقت الإبل تتابعت وتقاودت، والغنم تزاحمت في السير. ويقال ساق الصداق والمهر وإن كان دراهم؛ لأن العرب كانت تسوق الإبل صداقا(١).

وبذلك يتبين أن هذه المادة تدور حول معنى التتابع والاتصال، وأن استعمال العرب لهذه المادة ومشتقاتها يدور على معنى التتابع والاتصال الذي لا انقطاع فيه، وأما السياق في اصطلاح العلماء فقد خلص بعض الباحثين بعد عرض مفهومه لدى علماء التراث إلى أن غالب إطلاقهم للسياق إنما هو للغرض الذي تتابع الكلام لأجله مدلولا عليه بلفظ المتكلم، أو حاله، أو أحوال الكلام، أو المتكلَّم فيه، أو السامع(٢).

بمعنى أن مفهومه يتسع ليشمل كما قال شيخنا أبو موسى الطريق الذي جاءت الكلمة أو الجملة المراد دراستها على لاحبه، ولا يقف عند حد الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب، بل القطعة كلها،، كما ينبغي أن يشمل بوجه من الوجوه كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات، والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة(٣)

يقول ردة الله الطلحي في معنى السياق: «هو المحيط اللغوي الذي تقع فيه

---

(١) ينظر: لسان العرب؛ الصحاح، الجوهري، القاموس المحيط، الفيروزأبادي، مادة (س وق)

(٢) ينظر: دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ١٤-٢٧؛ دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن، الحارثي: ص٨٨

(٣) ينظر: دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمن، ص٥٧؛ الدلالات السياقية للقصص القرآني —قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنموذجًا، بوزيد رحمون: ٦-٧

الوحدة اللغوية سواء أكانت جملة في إطار من العناصر اللغوية أو غير اللغوية»[١]

والسياق أنواع فمن سياق الآية، إلى المعقد، إلى السورة إلى السياق الكلي للقرآن[٢]، وسنرى من خلال الدراسة أهمية السياق في إدراك العلاقة بين القصة ومقصود السورة، والكشف عن بلاغتها في القرآن الكريم، وبيان المناسبة المقصودة من هذه الدراسة.

## الدراسات السابقة:

اعتنت دراسات كثيرة بقصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، منها:

- البنية النصية لقصة موسى في القرآن الكريم، رضوانة كياني، رسالة عالِمية (دكتوراه)، الجامعة الإسلامية العالية، باكستان، كلية اللغة العربية والحضارة الإسلامية، ٢٠٠٨م

وللدكتور نبهان السعدون:

- الشخصية في القصة القرآنية – قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنموذجا، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد الثالث عشر، ١٤٣٣هـ-٢٠١١م

- الحدث في القصة القرآنية، قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنموذجا، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد الرابع عشر، ١٤٣٤هـ-٢٠١٢م

- الزمن في القصة القرآنية، قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنموذجا، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد الخامس عشر، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م

- مشاهد من قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في القرآن – دراسة أسلوبية، مجلة كلية

---

(١) دلالة السياق: ٥١

(٢) ينظر: الدلالات السياقية للقصص القرآني: ١٤-١٧

العلوم الإسلامية، العدد الثاني عشر، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م

وهذه الدراسات تركز - كما يظهر من عنواناتها -على دراسة القصة من منظور علم النص، أو التركيب في القصة ودلالته البلاغية وحسب، بل إن بعضها مبنية على خصائص فنية خاصة بالدرس الأدبي والنقدي، والأخيرة على المستويات المحددة في الدرس الأسلوبي: الدلالي، والتركيبي، والإيقاعي.

وهناك دراسات تناولت المتشابه اللفظي في قصة موسى، وأقصد به التنويع الأسلوبي للآيات المتكررة في قصصه، التي تشابهت في تركيبها وبنائها اللغوي تشابهًا تامًا، لكن اختلفت بإبدال كلمة مكان كلمة، أو حرف مكان حرف، أو بزيادة أو نقص، أو تقديم أو تأخير في التركيب، أو تعريف أو تنكير..إلى غيرها من وجوه الاختلاف، وأكثرها أبحاث ورسائل لم تنشر بعد، ومنها:

- أسلوب التكرار في القصة القرآنية، قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنموذجا، حفيظة عبداوي، رسالة تخصص، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٠م.

- دلالة السياق وأثره في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فهد الشتوي، رسالة تخصص، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

- من بلاغة متشابه القرآن في قصة سيدنا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، خلود العيسى، رسالة تخصص، جامعة الدمام، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، البلاغة والنقد، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٧م.

- المتشابه اللفظي في الخطاب القصصي القرآني – قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نموذجا، منى إسماعيل، رسالة تخصص، جامعة الموصل، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م.

- الدلالات السياقية للقصص القرآني - قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنموذجا، بوزيد

رحمون، رسالة تخصص، جامعة فرحات عباس، الجزائر، ٢٠١١م.

- قصة موسى في القرآن الكريم رؤية جمالية لغوية لبنية التكرار، د.منال الصفار، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠١٢م.

- السياق ودلالته في القصص القرآني قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنموذجا، علية بيبية (دكتوراه) جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، ٢٠١٣م.

- قطوف من المتشابه اللفظي في قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، د.زكريا علي محمود الخضر، مجلة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٣١هـ.

- التكرار في القصص القرآني - دراسة تطبيقية على قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، د.أمين محمد باشا، جامعة أم القرى، اقتصر على أربعة مشاهد متكررة لقصة موسى.

وجميع هذه الدراسات -كما ذكرت- في دراسة المتشابه اللفظي، وليس الحادثة الجديدة في القصة، والعلاقة بين هذه الحادثة ومقصود السورة والسياق كما أرمي.

## منهج الدراسة:

هو **المنهج التحليلي** المعتمد على:

-**ذكر الآيات الواردة في الحادثة من القصة تحت عنوان دال**؛ للتركيز على الحادثة الجديدة التي تصطفيها السورة، والاكتفاء باسم السورة عن تخريج الآيات التابعة لها في الهامش.

- **تلمس مقصود السورة الذي ترتبط به القصة أو السياق القريب لها.**

-**الاهتمام بخصائص نظم القصة ودقائقها اللفظية والتركيبية** الكاشفة عن بلاغة هذه المناسبة.

**منهج ورود القصة في القرآن:**

كانت قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ترد في عمومها تسلية له ﷺ لما يلاقيه من قومه بما كابده موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من بني إسرائيل، يقول البقاعي نقلا عن ابن الزبير الغرناطي: «قلما تجد في الكتاب العزيز ورود تسليته ﷺ إلا معقبة بقصص موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وما كابد من بني إسرائيل وفرعون، وفي كل قصة منها إحراز ما لم تحرزه الأخرى من الفوائد والمعاني والأخبار حتى لا تجد قصة تتكرر...»(١).

ولا يخفى على أحد أن ترتيب القصص القرآني لا يخضع إلى نسقه التاريخي(٢) في تسلسل الأحداث؛ بحيث يبدأ بمبدأ حياة النبي، وينتهي بانتصار رسالته، بل هو ناظر إلى علاقة الحدث بالمقصد الكلي من السورة، تصطفي كل سورة من القصة الواحدة ما يتآخى ويتناغى مع مقصودها وسياقها(٣)، وقد بلغت أحداث قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أكثر من عشرين حلقة، وزعت على خمسٍ وثلاثين سورة، وفق حاجة النظم، ففي كل مرة تذكر فلمناسبة تخص تلك السورة، والمقدار الذي يذكر منها يتفاوت إيجازا وإطنابًا تبعا لهذه المناسبة أيضًا، وإن كان الإيجاز سمة العهد المكي في بداية الدعوة الإسلامية، ثم اقتضى الحال البسط لما دعت الحاجة إليه(٤).

وتبعًا لذلك انتظمت الدراسة في مباحث، كل مبحث يمثل حادثة من قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ انفردت بها السورة بعد مقدمة مهدت للموضوع وخاتمة تضمنت النتائج.

فأسأله عَزَّوَجَلَّ التوفيق لإبراز ما يكتنف القصة القرآنية من لطائف في هذا الجانب، وما تنطوي عليه من أسرار.

---

(١) نظم الدرر: ٥/ ٣٤٥

(٢) قرر رشيد رضا ذلك في تفسير المنار، منها: ١/ ٢٧٩، ١/ ٣٩٩، ١/ ٣٤٦، ٢/ ٢٠

(٣) ينظر: منهج البحث البياني عن المعنى القرآني، د. محمود توفيق: ص٢٧؛ التصوير الفني، سيد قطب: ١٥٦

(٤) ينظر: السابق، ١٢٥-١٥٦

# المبحث الأول
# مناسبة حادثة البقرة لسورة البقرة

## أولا – الغرض من عرض المواقف الكثيرة لبني إسرائيل:

ومبدأ هذه المواقف قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ ...﴿٤٠﴾ ﴾ حتى ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا...﴿١٢٣﴾ ﴾ تخللها تحذيرات منهم ومن الاقتداء بهم.

وعلاقة ذلك بمقصود السورة أن موضوعاتها انتظمت في محورين: الأول – إعداد الأمة لعمارة الأرض والقيام بدين الله، والثاني: تحديد أصول الإيمان وكليات الشريعة(١)، ولا يخفى أن **الأول** يستلزم التحذير من الأعداء وطبيعتهم، ووسائلهم في حربها، و**الثاني** يستلزم توقي مصيرهم المنكود بسبب نكولهم عن التكاليف والتشريعات.

وبذلك يبدو التناسب بين السورة وقصص بني إسرائيل، وهو **تحذير الجماعة المسلمة من النكول عن هذه التكاليف والتشريعات، ومن التلكؤ في أخذها كما فعلت بنو إسرائيل** مما يترتب عليه حرمانهم من الخلافة كما حُرموا، وفي الوقت نفسه استجلاب إيمان يهود المدينة واستعطافهم بتعداد النعم؛ لأنها تورث المحبة(٢). ومن خصائص نظمها الدالة على هذا المعنى:

-توجيه الخطاب إلى يهود المدينة، نحو ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٤٠﴾ ﴾ ﴿ وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ ﴿٧٢﴾ ﴾ ﴿ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم ﴿٧٤﴾ ﴾ مع أنه واقع من أسلافهم؛ لإرشاد المسلمين إلى أنهم

---

(١) ينظر: المختصر في التفسير: ٢

(٢) ينظر: نظم الدرر: ٣/ ١٠٤؛ التحرير والتنوير: ١/ ٤٤٩

كأسلافهم في ارتكاب الجنايات والقبائح(١)

-اختصاص سورة البقرة بلفظ الاستخلاف في قصة **آدم** عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿٣٠﴾﴾ فإنه لم يرد في أي من قصصه في القرآن، وفائدته البلاغية الإشارة لوظيفة الإنسان في الأرض، والتمهيد للحديث عن استخلاف بني إسرائيل.

-أمرهم بالوفاء بالعهد في ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ الدال على أن عزلهم عن الخلافة وتسليم مقاليدها للأمة المسلمة الوافية بعهد الله؛ لتتسق المواقف مع هذا السياق كل الاتساق(٢)

-الإطناب في تعداد نعمه عليهم، وما لاقوها به من الانحراف عن الصراط انحرافا بلغ بهم حد الكفر، وذلك جامع لخلاصة تكوينهم، ويلقي في النفوس شكًا في تأهلهم للاقتداء بهم(٣) ودليل سياقها في مقام الامتنان والتذكير بالنعم أنها صُدِّرت جميعا بـ (وإذ)(٤) عطفًا على ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾

## ثانيا – قصة البقرة بين الدلالة على الغيب وعلى طبيعة بني إسرائيل الملتوية:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود: ١/ ١١٣؛ الفتوحات الإلهية: ١/ ١٠٦

(٢) ينظر: في ظلال القرآن: ١/ ٥٦– ١/ ٦٥

(٣) التحرير والتنوير: ١/ ٢٠٣

(٤) التحرير والتنوير: ١/ ٥٤٣، ٤٤٨ –٤٤٩

رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفْرَآءُ فَاقِعٞ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ۞ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ۞ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ۞ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٞ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۞ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةٗ ... ﴾ البقرة (٦٧-٧٤) والدليل أنها مقصودة أنها لم ترد من قبل في السور المكية، كما أنها تجيء مفصلة لا مجرد إشارة كالذي سبق[١] وعلاقتها من وجهين:

**الأول – دلالتها بإحياء البقرة على البعث واليوم الآخر الذي هو مدار الإيمان بالغيب** الذي امتُدح به المتقون في مطلعها ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴿٣﴾ ﴾ يقول البقاعي: «والمقصود من هذه السورة إقامة الدليل على أن الكتاب هدى ليتبع في كل حال، وأعظم ما يهدي إليه الإيمان بالغيب، ومجمعه الإيمان بالآخرة والبعث الذي أعربت عنه قصة البقرة التي مدارها الإيمان بالغيب؛ فلذلك سميت بها السورة... لأن الإحياء في قصة البقرة بسبب ضعيف في الظاهر بمباشرة من كان من آحاد الناس، فهي أدل على القدرة»[٢] وهذا توجيه دقيق **فإن مكوناتها البلاغية دلت على أن الغيب من معالم هذه السورة**، ومنها:

- نفي الغيب عن الملائكة في قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ والتصريح به في: ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

---

(١) في ظلال القرآن: ١/ ٧٧

(٢) نظم الدرر: ٢/ ٩-١٠(بتصرف)

-تكرار لفظ التعلم دفعًا لادعاء السحرة معرفة الغيب، ويبرز **في قصة هاروت وماروت** ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴿١٠٢﴾﴾ ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ ﴿١٠٢﴾﴾، ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴿١٠٢﴾﴾، ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ ﴿١٠٢﴾﴾

**وكذا دلالتها على البعث بإحياء البقرة، والبعث من معالم هذه السورة؛** فقد اُختصت بقصص لم ترد في غيرها، منها: قصة ﴿ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ﴿٢٤٣﴾﴾ فالإماتة ثم الإحياء من مظاهر الاستدلال على البعث.

- **ومحاجة إبراهيم النمرود** ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴿٢٥٨﴾﴾

- وقصة **الذي مرّ على قرية** التي بدئت باستفهام للتعجب من البعث، واستبعاد الإحياء بعد الإماتة﴿أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ﴿٢٥٩﴾﴾ تأمل تكرار فعل الأمر (فانظر إلى طعامك) (وانظر إلى حمارك) (وانظر إلى العظام) ودلالته على تأكيد البعث.

- **حادثة إحياء الطير لإبراهيم** التي صُدرت بطلبه رؤية إحياء الموتى ﴿أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ ﴿٢٦٠﴾﴾

- تذييلها بـ ﴿كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ ودلالته على أنه الهدف الرئيس من القصة[١].

**الثاني- دلالتها على معنى التقريع والتوبيخ على سوء تلقي بني إسرائيل للشريعة، والتلكؤ في تنفيذ الأوامر؛** فإنها أعظم حادثة تدل على التوائهم، وترسم

---

(١) ينظر: دراسات فنية في قصص القرآن، ٢٤-٢٥

لجاجتهم وتعنتهم في الاستجابة لأوامر الله(١) ومن خصائصها الدالة:

- تنكير البقرة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾ فإنهم لو ذبحوا أية بقرة أجزأتهم(٢) لكن سؤالهم للتلكؤ.

-البدء بالقصة من وسطها لا من أولها؛ فالقصة تلخص حادثةَ قتلٍ، أمر الله بذبح بقرة وضرب الميت ببعضها ليحي القتيل، ويكشف عن هوية القاتل، ولكن السورة لم تقصّ القصة حسب الواقع، يقول الزمخشري: «فإن قلت: فما للقصة لم تقص على ترتيبها، وكان حقها أن يقدم ذكر القتيل والضرب ببعضها؟ قلت: كل ما قُصّ من قصص بني إسرائيل إنما قُصّ تعديدًا لما وُجد منهم من الجنايات، وتقريعًا لهم، وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع، وإن كانتا متصلتين متحدتين، فالأولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة له الامتثال، وما يتبع ذلك، والثانية للتقريع على قتال النفس المحرمة وما يتبعه»(٣)

-الاستفهام الدال على الاستخفاف بنبيهم ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗا﴾ الدال على تكذيبهم وكفرهم بما طُلب منهم، لذلك نفى الجهل عنه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لنفي ملزومه وهو الاستهزاء ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ وأخرجه بلفظ الاستعاذة استفظاعًا له(٤).

- إضافة الرب إلى موسى في كل مرة ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ مشعرٌ بضعف إيمانهم

---

(١) البحر المحيط: ١/ ٤١٤

(٢) ينظر: الكشاف: ١/ ٢٨٨؛ تفسير أبي السعود: ١/ ١١٣

(٣) الكشاف: ١/ ٢٩٠، وينظر: تفسير أبي السعود: ١/ ١١٤، روح المعاني: ١/ ٢٩٢؛ دراسات فنية في قصص القرآن، ٢٤-٢٥

(٤) ينظر: الكشاف: ١/ ٢٨٦-٢٨٧؛ أنوار التنزيل: ١٤؛ تفسير أبي السعود: ١/ ١١١، ١١٠؛ روح المعاني: ١/ ٢٨٥

بالله.

- دلالة الأمر في قوله ﴿فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ﴾ على الحث على الامتثال والزجر عن المراجعة(١)

- قوله ﴿وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ كناية عن تعسر الفعل وثقله عليهم، وتعريض بهم لسوء تلقيهم الشريعة، وإنهم لفرط تطويلهم، وكثرة مراجعاتهم ما كادوا ينفذون الأمر(٢)

- ودلالة (ثم) في قوله ﴿ثُمَّ قَسَتۡ﴾ على استبعاد القسوة بعد مشاهدة ما يوجب لينها(٣).

- تشبيه القلوب بالحجارة دلالة على استحالة صدور الخير منها، فقد «استعيرت القسوة (لنبو) قلوبهم عن التأثر بالعظات والقوارع التي تميع منها الجبال، وتلين لها الصخور(٤) وإيراده بصيغة الفعل المفيد لتجدد الحدوث؛ للدلالة على بلوغها مرتبة حادثة مخصوصة من مراتب القسوة(٥).

- التفضيل بالفعل (أشد) مع إمكان (أقسى) ﴿أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ﴾ لأجل المبالغة.

يقول الزمخشري: «فإن قلت: لم قيل (أشدّ قسوة) وفعل القسوة مما يخرج منه أفعل التفضيل وفعل التعجب؟ قلت: لكونه أبين وأدل على فرط القسوة، ووجه آخر وهو أن لا يقصد معنى الأقسى، ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كأنه قيل:

(١) ينظر: السابق نفسه

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود: ١/ ١١٣؛ روح المعاني: ١/ ٢٩٢؛ التحرير والتنوير: ١/ ٥٦٦

(٣) ينظر: الكشاف: ١/ ٢٩٠

(٤) تفسير أبي السعود: ١/ ١١٤-١١٥

(٥) ينظر: السابق نفسه

اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم أشد قسوة»[١] وإبراز قساوة قلوبهم في معرض العيوب الظاهرة تنبيهًا على أنها من أعظم العيوب[٢].

لقد جعلت القصة قصتين لقصد الإسهاب وزيادة التقريع[٣]، ولذلك جاء التعقيب عليها بأسلوب **الاستفهام الإنكاري** لتحذير المسلمين من انحرافاتهم واستبعاد إيمانهم ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ ﴿٧٥﴾﴾[٤].

**قد يقول قائل هذه الأحداث قد ذُكرت في سورة الأعراف**. والجواب: إنها وردت في سورة البقرة في مقام تعداد النعم على بني إسرائيل؛ لاستجلاب إيمانهم، وتقريع اليهود بما كان من أسلافهم في حين المقام في الأعراف مقام إنذار وتقريع على ما ارتكبوه من مآثم[٥].

## المبحث الثاني

## مناسبة مواقف بني إسرائيل لسورة النساء

لم تنفرد النساء بحادثة جديدة، إنما قص القرآن فيها بعضًا من مواقف بني إسرائيل وشنائعهم ردًا على تبجح يهود المدينة، ولمناسبة اقتراحهم الفاسد على النبي ﷺ عنادا أن ينزل عليهم القرآن جملة واحدة ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَـٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا

(١) الكشاف: ١/ ٢٩٠
(٢) روح المعاني: ١/ ١٩٦
(٣) ينظر: حاشية الكشاف لابن المنير: ١/ ٢٩٠
(٤) تفسير أبي السعود: ١/ ١١٦
(٥) ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: ٩٨؛ نظم الدرر: ٣/ ٣

تَعْدُواْ فِي ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾ حتى قوله: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ...﴿١٥٧﴾﴾ فالمناسبة تسلية النبي ﷺ بأن ما يطلبه منه أحبار اليهود[1] ليس أول جهالتهم؛ فلهم في التعنت قدمٌ راسخة كأسلافهم[2] بدليل إسناد الفعل إليهم ﴿فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ﴾ والسائل أسلافهم!

## المبحث الثالث

## مناسبة الامتناع عن القتال مع موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لسورة المائدة

وهي الحادثة الجديدة التي يصطفيها القرآن في سورة المائدة: **حادثة نكول بني إسرائيل واستنكافهم عن دخول الأرض المقدسة، ونصرة نبيهم والقتال معه** لما أمرهم بدخولها ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾...﴾ وبتأمل مقصود السورة ندرك بلاغة هذا الاصطفاء فمقصودها «الوفاء بالعقود والمواثيق والتزام الشرائع والحدود وإكمال الدين»[3] وهذا يشرق

---

(١) روي أن أحبار اليهود قالوا لرسول الله ﷺ: «إن كنت نبيًا فأتنا بكتاب جملة من السماء كما أتى به موسى» فأنزل الله ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أسباب نزول القرآن: ١٨٩

(٢) ينظر: الكشاف: ١/ ٥٧٧؛ تفسير أبي السعود: ١/ ٢٤٩

(٣) ينظر: المختصر في التفسير: ص ١٠٦

في مطلعها ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ وفي: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي ... ﴾

لقد تكرر لفظ الميثاق في هذه السورة لهذه العلاقة بين المقصود وهذه الحادثة، تأمل تذكير المسلمين بالميثاق في ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ ﴿٧﴾﴾ ثم تحذيره من عواقب نقضه: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ ﴿ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾

وتذكير اليهود بـ (ميثاق الله) على نقبائهم بالإيمان بالرسل ونصرتهم: ﴿لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٢﴾ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ﴾ وبذلك تظهر العلاقة بين هذه الحادثة والوفاء بالعهود، وأنها جزء من نقضهم العهود مع الله، بل هو الإصرار على نقض الميثاق بدلالة التعبير بالنفي المؤكد في ﴿وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا﴾ ثم تكرره وتأكيده ﴿إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا﴾ غير مبالين بالناصحين ولا بموسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ[1] يشحذ لهم أعظم المشجعات فيذكرهم بالنبوة والملك والمجد، وهي أعظم تطلعاتهم الاجتماعية، كما يشحذ أشد التحذيرات ﴿وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾[2] ويستخدم أسلوب الملاينة واللطف البالغين ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ولكنهم لا يعرفون سوى النكوص ونقض الميثاق، وتأمل التعبير بـ﴿كَتَبَ﴾ ودلالته على أن هذه الأرض يقين والنصر مؤكد، وهو تعبير مجازي؛ فالشيء إذا أكده الملتزم به كتبه، وإنما يريد منهم تكاليف النصر والوفاء بالعهد وحسب.

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود: ٣/ ٢٤،الكشاف: ١/ ٦٠٤

(٢) دراسات فنية في قصص القرآن: ١٢٤-١٢٥

- استعمال فعل الأمر ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ في الاستهزاء والاستهانة بالله ورسوله، وقد قصدوا ذهابهما حقيقة جهلا وعصيانا، والدليل عليه مقابلة ذهابهما بقعودهم ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾[(١)] وتؤكد هذه الاستهانة إضافة لفظ الرب إلى موسى، فكأنه ربه وحده[(٢)].

## المبحث الرابع

## مناسبة إيمان الفتية من بني إسرائيل وإيمان فرعون والمفارقة بينهما لسورة (يونس)

الحادثة التي تنفرد بها سورة يونس هي **حادثة إيمان الفتية الصغار من قوم موسى** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **وانتفاعهم به، وحادثة غرق فرعون ونطقه بجملة الإيمان التي لم تنفعه**؛ لأنه رأى البأس وفات الإيمان بالغيب الذي هو شرط الإيمان[(٣)] ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾ إلى ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ

---

(١) ينظر: الكشاف: ١/ ٦٠٥؛ أنوار التنزيل: ١٤٦؛ تفسير أبي السعود: ٣/ ٢٥

(٢) ينظر: الفتوحات الإلهية: ١/ ٢١٩. ولقد وعى المسلمون هذا الدرس؛ فحين واجهوا الشدة في بدر،قالوا لنبيهم ﷺ: لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ ولكن اذهب وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون.صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾.

(٣) ينظر: نظم الدرر: ٣/ ٤٦٩-٤٧٠

ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ قصة موسى هنا يبدؤها السياق من مرحلة التكذيب والتحدي، وينهيهما بغرق فرعون وجنوده ![1] ثم التركيز على من آمن مع موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وهم قليل بل الفتية الصغار، لا مجموعة من الشعب الإسرائيلي، وذلك الأنسب لمقصود السورة من جهة أن الدعوة للإيمان لا ينتفع بها أي أحد، وهو ما سيقت له قصة يونس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الذي آمنت قريته بعد أن كاد العذاب أن يحل بها، فنجت بالإيمان[2] ولذلك سميت بيونس؛ لأن قومه المثل الوحيد للقوم الذين يتوبون قبل مباغتة العذاب، وهم وحدهم الذين آمنوا جملة بعد التكذيب وانتفعوا به ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٩٨﴾﴾ ومثلهم أهل الصلاح من قوم موسى الذين آمنوا، فكانت عاقبتهم الحسنى؛ ليكون ترغيباً للمشركين في الإيمان[3].

## المبحث الخامس

## مناسبة السخرية من عاقبة فرعون وقومه لسورة (هود)

في هذه السورة يكتفي النظم بإشارة قصيرة إلى قصة موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وفرعون، وفيها تسجيل نهايته وملئه، والتهكم بهم، والسخرية منهم ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ﴿٩٧﴾ يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ﴿٩٩﴾﴾ هذه الإشارة تؤدي

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١١/ ٢٥٨؛ في ظلال القرآن: ٣/ ١٨١٣

(٢) ينظر: في ظلال القرآن: ٣/ ١٨١٠

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١١/ ٢٨١

دورها من التناسب ونهاية المكذبين وبين الوعيد والإنذار في المطلع ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣﴾ «ورمي قلوب العرب بما فيه من سهام التهديد ليقلعوا عمّا تمكنوا فيه من عمى التقليد»[١] ذلك أن مقصودها بيان منهج الرسل في مواجهة أقوامهم والبشارة والنذارة، والصبر عليهما وإن اشتدَّ الأمر على المتعنتين[٢].

وتأمل قوة التهكم بهم وقوة الدلالة على تحقق الوقوع بإيراد ماحقه المضارع ماضيًا ﴿فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾[٣] والورد هو الماء المورود، لكنه استعاره إلى التقدم بالناس للعذاب، للتهكم بهم[٤]. وكذا إطلاق الرِفد وهو المرفود على اللعنة استعارة تهكمية للذم[٥]

## المبحث السادس

## مناسبة تذكير موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لقومه بنعم الله عليهم لسورة إبراهيم

وأعظم النعم إخراجهم من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ٥ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ٦ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ

---

(١) نظم الدرر: ٣/ ٥٧٦

(٢) ينظر: نظم الدرر: ٣/ ٤٩٨؛ في ظلال القرآن: ٣/ ١٨١٩؛ المختصر في التفسير، ٢٢١

(٣) ينظر: نظم الدرر: ٣/ ٥٧٢؛ التحرير والتنوير: ١٢/ ١٥٥

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢/ ١٥٦

(٥) التحرير والتنوير: ١٢/ ١٥٦

لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾.

ومن التناسب بين هذه الحادثة والسورة: التشابه بين مطلع السورة ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴿١﴾﴾ ومطلع قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الذي لا نظير له في قصة موسى في كل القرآن؛ للدلالة على أن المقصود من البعثة واحد، وهو أن يسعوا في إخراج الخلق من الظلمات إلى أنوار الهدايات[١]. وهذه حقيقة مهمة من حقائق السورة في العقيدة.

ومن أهم مقاصدها أيضا التذكير بنعم الله على البشر كافة، وعلى المختارين منهم بصفة خاصة وزيادة النعمة بالشكر[٢]؛ لذلك جاء المطلع حاملا معاني الامتنان ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ تأمل ذكرُ فاعل الإنزال في ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ حين حُذف في آية الأعراف ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾[٣] وإضافته للفظة الرب ألصق بمقام الامتنان[٤]. فالمطلع فيه بيان غاية الكتاب والرسالة، وأنهما من أعظم المنن[٥].

ثم تجيء التعبيرات والتعليقات فيها متناسقة مع هذا الطابع[٦]، منها: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ﴿٥﴾﴾وأيام الله هي نعم الله[٧]، وقوله: ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ

(١) التفسير الكبير: ١٩/ ٨٣
(٢) ينظر: السابق: ١٣/ ١٧٧
(٣) السابق: ١٣/ ١٧٩
(٤) علاقة المطالع بالمقاصد: ١٧٠ -١٧٢
(٥) علاقة المطالع بالمقاصد: ١٧٠ -١٧٢
(٦) ينظر: في ظلال القرآن: ٣/ ٢٠٨١
(٧) علاقة المطالع بالمقاصد: ١٧٢

ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴿٦﴾﴾ وقوله ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾ وقوله ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾﴾ وقوله ﴿وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ وقوله ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا ﴿٢٨﴾﴾

-ومن الدلائل البدء بقصة موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ خلافًا لكثير من القصص في القرآن التي تبدأ بذكر نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ تبعًا للتسلسل التاريخي؛ وذلك أنه أكثر الأنبياء بينات ومعجزات، واليهود أكثر الناس ضلالات، فهو أنسب لمقام الامتنان وتذكيرهم بنعم الله.

-العطف بالواو في ﴿يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾ في حين جاءت بحذف الواو في غيرها البقرة ﴿يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ ﴿٤٩﴾﴾ وذكرها ألصق بمقام الامتنان؛ لدلالتها على أن العذاب جنس آخر من التعذيب غير التذبيح والقتل، إما جنس العذاب أو استعبادهم واستعمالهم في الأعمال الشاقة[(١)] وقيل «إنما عطفه إخراجًا له عن مرتبة العذاب المعتاد»[(٢)].

-إيثار التعبير بلفظ (التذبيح) الدال على التكثير وأنه يذبح بعضهم إثر بعض، بينما اكتفى بالقتل فقط في الأعراف (يقتلون) لعدم القصد إلى هذه الصفة الشنيعة في التقتيل[(٣)]

- الاقتصار في التذكير بالنعمة على هذه الصورة الشنيعة (يذبِّحون) دون ما هو أقل منها ظاهر في أن النجاة من مثله أتم في النعمة[(٤)].

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل: ٣٣٦

(٢) تفسير أبي السعود: ٥/ ٣٤

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ص ٣٢٦ ؛ ملاك التأويل: ١/ ١٩٩-٢٠٠؛ نظم الدرر: ٤/ ١٧١

(٤) ينظر: دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي: ١٩٢

## المبحث السابع
## مناسبة ذكر إفساد بني إسرائيل لسورة (الإسراء)

وبمناسبة الحديث عن الإسراء والمسجد الأقصى مطلع سورة **(الإسراء)** يُذكر كتاب موسى وتفصيل قصة بني إسرائيل إزاء المسجد الأقصى، وما نالهم من عقاب ونكبة باستيلاء قومٍ أولي بأسٍ عليهم (الآشوريين) ثم استيلاء الروم وما أصابهم من هلاك وتشريد جزاء إفسادهم ومخالفتهم أوامر الله[١].

قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ ﴿٧﴾ ﴾

ولأن مقصود السورة العام التركيز على كمال الرسالة المحمدية[٢] وتفضيل بعض الخلق على بعض مع الإقبال على الله وحده وخلع كل ما سواه[٣]، كان «ذِكرُ مبدأ الإسراء ونهايته (المسجد الحرام والمسجد الأقصى) يدل على إدارة معاني السورة الكريمة في إطار التفاوت بين الشريعتين والكتابين في حدود الإقبال على الله والتشريف بنسبة هذا الإقبال» وأن عطف قصة موسى ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ﴾ على قصة الإسراء؛ لأن مسير موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى الطور بمنزلة معراجه ﷺ؛ لأنه مُنح التكليم،

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٦/ ٥، ٢٤، ٣٩

(٢) المختصر في التفسير: ٢٨٢

(٣) نظم الدرر: ٤/ ٣٢٧؛ مصاعد النظر: ٢/ ٢٣٠

وطلب الرؤية، مع تفاوت ما بين الكتابين ومن أنزلا عليه، يقول: «إن شئت فوازن بين﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ و﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ و﴿هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ و﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾»[1] ومن خصائص تركيبها الدالة بلاغيًا على هذه المناسبة: التحذير الأول لبني إسرائيل في قوله:﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِى﴾ إذ هو مستلزم للإقبال على الله وحده، ثم قوله ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ فقد نبَّه على تقواه وإحسانه؛ لحث الذرية على الاقتداء به والإقبال على الله[2] ويبدو أن إفسادهم كان في تشريعاتهم المجتمعية، وقد دل تعبيره بـ (عبادًا لنا) على أنهم لم يعودوا عبادًا له بانصرافهم عن الشريعة[3]

وتوجيه لطيف للعلاقة بين الإسراء بالنبي إلى الأقصى وسير موسى وقومه إلى الأرض المقدسة، وإنه لما أثبت ما منح نبيه من إكرام بالآيات البينات في هذا الوقت اليسير، أتبعه ما منح موسى من المسير إلى الأرض المقدسة في مدة طويلة جدًا، فقال ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى﴾ فساوى بين النبيين في تعظيم الإراءة وإيتاء الكتاب؛ وكان إيتاء موسى الكتاب في نيفٍ وأربعين سنة ولم يصلوا، ثم ذكر ثمرة كتاب موسى، فقال: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ حتى يمكن جعل آيتي المطلع من الاحتباك[4]، يقول البقاعي:«فقد بان الفصل بين الإسرائين كما بان الفصل بين الكتابين؛ فذكر الإسراء أولا دليلٌ على حذف مثله لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ثانيا، وذكر إيتاء الكتاب ثانيًا دليلٌ على حذف مثله أولا، فالآية من الاحتباك»[5] وفي الخاتمة يجيء الحديث عنهم بمناسبة مشابهة تعنتهم لتعنت كفار مكة حين طلبوا الخوارق المادية،

(١) حاشية الشهاب الخفاجي: ٦/ ٨

(٢) ينظر: حاشية شيخ زادة: ٢/ ٢١٠؛ نظم الدرر: ٤/ ٣٣٥؛ الكشاف: ٢/ ٤٣٨

(٣) ينظر: علاقة المطالع بالمقاصد: ٣٤٠

(٤) الاحتباك في اللغة مأخوذٌ من الشد والإحكام، لسان العرب، مادة (حبك) ومعناه أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أُثبت نظيره في الأول.ينظر: **الإتقان**: ٢/ ٦٢

(٥) نظم الدرر: ٤/ ٣٣٤

ونزول الملائكة ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ ... ﴾ وفي هذا السياق الذي يؤكد فيه أن هذه المقترحات خارجة عن وظيفة الرسول يأتي ذكر موسى وقومه﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا ﴿١٠٣﴾ وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ﴿١٠٤﴾ ﴾ والسر أن الآيات الخارقة التي جاء بها موسى من قبل لم تؤدِ إلى إيمان المتعنتين أمثالكم(١).

## المبحث الثامن

## مناسبة لقاء الخضر بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وترك الغيب لله لسورة (الكهف)

وهذا اللقاء لم يرد إلا في هذه السورة ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٦٧﴾ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ إلى ﴿ ... وَمَا فَعَلۡتُهُۥ

(١) ينظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم: ١/ ١٩٤

عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[١].

ومن أعظم مقاصد هذه السورة منهج التعامل مع الفتن، وضرب النماذج لذلك، ومنها فتنة العلم[٢] ومن مقاصدها: وصف الكتاب بأنه قيم زاجرٌ من الشريك، وأن أدل ما فيها على هذا المقصد قصة أهل الكهف؛ لأن سبب فراقهم لقومهم الشرك، وظهور أمرهم –بعد طول رقادهم– موجبًا للوحدانية وإبطال الشرك[٣] وبهذا تظهر العلاقة البليغة بين هذه الحادثة (موسى والخضر) وسورة الكهف:

أولا –دورانها على وصف الكاتب بأنه قيم، وأن ادعاء الشريك يقتضي العلم والعلم لله وحده، وظاهر نمط الزجر من الخضر لموسى، المناسب لقوله (مالهم به من علم[٤]).

وكذا قصة موسى فإنها سيقت للتنبيه على ترك الإحاطة والعلم الشامل للعليم الخبير؛ فإن مغزاها إثبات قصور الخلق مهما سمت عقولهم، وكثرت علومهم أمام علم الله[٥] ولذلك جاء النهي في قول الخضر لموسى: (فلا تسألني عن شيء) (ما لم تحط به خبرا).

## المبحث التاسع
## مناسبة منة الله على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لسورة التنزيه (الصافات)

وسورة الصافات تستهدف كسائر السور المكية بناء العقيدة في النفوس، ومن أعظم مقاصدها تنزيه الله عما نسبه إليه المشركون، وإبطال مزاعمهم في الملائكة

---

(١) سورة الكهف: ٦٠- ٨٢.

(٢) المختصر في التفسير: ٢٩٣

(٣) ينظر: نظم الدرر: ٤/ ٤٤١؛ مصاعد النظر: ٢/ ٢٤٣، ٤٤٤

(٤) علاقة المطالع بالمقاصد: ٣٦٢

(٥) ينظر: في ظلال القرآن: ٣/ ٢٢٨٢

والجن[١]

وفيها ترد لمحة تُعنى بإبراز منة الله على موسى وهارون-عليهما السلام- باصطفائهما، ونجاتهما وقومهما من الكرب العظيم ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ لأنها سيقت لـ«تقرير نوع الجزاء الذي يلقاه المحسنون، وقيمة الإيمان الذي يكرم من أجله المؤمنون»[٢] ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ وهو الأمر الذي سيقت له جميع قصص الأنبياء في السورة، وتأمل تكرار ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ ومناسبتها القوية لهذا المقصود.

## المبحث العاشر
## مناسبة جدال مؤمن آل فرعون قومه والصدع بالحق أمام الباطل لسورة (غافر)

وتركز سورة **(غافر)** على بيان حال المعاندين وجاحدي الآيات المجادلين في آيات الله بمحاورتهم للرجوع إلى الحق[٣] بدلالة تكرار ذكر لفظ الجدال والمجادلين في آيات الله خمس مرات: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴿٤﴾ ﴾، ﴿ وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ﴿٥﴾ ﴾ ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴿٣٥﴾ ﴾ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴿٥٦﴾ ﴾ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ

(١) المختصر في التفسير: ٤٤٦؛ نظم الدرر: ٦/ ٢٨٩
(٢) في ظلال القرآن: ٥/ ٢٩٩٧
(٣) ينظر: المختصر في التفسير: ٤٦٧

ٱللَّهِ ﴿٦٩﴾﴾ «وكان بناء السورة على هذا الغرض بدليل افتتاحها وختمها، ألا ترى قوله تعالى ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴿٤﴾﴾»[١] وهذا لا يخالف ما ذهب إليه البقاعي من أن من مقاصدها: الاستدلال على أن الناس صنفين في الآخرة، وأن كل صنف يوفّى ما يستحق يوم القيامة، وأن من جادل في آياته فإنه يعذبه ويرديه، وتظهر روح هذا المعنى قوية في المطلع ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾[٢] ولذلك غدت مسرحًا للمعارك بين أهل الإيمان والمتجبرين في الأرض، وبأس الله الذي يأخذهم بالدمار[٣]

ولم تُذكر فيها إلا قصة موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، بل حادثة جديدة منها، هي **حلقة ظهور رجلٍ مؤمن من آل فرعون اهتدى إلى توحيد الله، وصدّق موسى** عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، **يصدع بكلمة الحق أمام فرعون،** ويقدم له الحجج القوية، والبراهين الساطعة للإيمان، وقد جاءت لتؤدي دورها من المناسبة للمقصود، حيث تمثل صورة من صور المجادلة: فرعون والذين معه يجادلون في آيات الله وموسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ والرجل المؤمن يجادل عن آيات الله[٤] ﴿وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ

(١) البرهان في تناسب سور القرآن: ١/ ٢٩٤

(٢) ينظر: نظم الدرر: ٦/ ٣٠٥

(٣) في ظلال القرآن: ٥/ ٣٠٦٧

(٤) ينظر: آل حم غافر وفصلت، ١٣

مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ ... ﴾
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ
ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا
مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ
يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ
﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ
ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى
ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ
أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ
بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ ...﴿٤٦﴾ ﴾ وقد هدت
بخصائصُ نظمها إلى هذا التناسب، ومنها:

-الاستفهام المشحون بالإنكار والتعجب في﴿ أَتَقۡتُلُونَ ﴾ ومناسبتها لما بنيت عليه من الجدال، وإن كان لحفظ موسى من القتل وتشكيكهم في تكذيبه.

-تكرر لفظ الكذب المناسب للجدال بالباطل، نحو: ﴿ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴿٢٤﴾ ﴾ ﴿ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ ﴿٢٨﴾ ﴾ ﴿ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴿٢٨﴾ ﴾ مع ما فيها من إيهام الشك في صدق موسى حتى لا يُشك في أمره، وأنه في حالة نظر وتأمل؛ ليسوقهم إلى براهين صدقه بوجه لا يثير نفورهم، وكأنه يدعوهم للنظر وعدم الاستعجال(١).

-انتهاج طريقة أهل الجدل في وعظهم حين قدم الحجج، ثم هجم على المقصود لما توسم فرصة انكسار قلوبهم:﴿ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٤/ ١٢٨

ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ﴿٢٩﴾ ﴾

-أمر فرعون وهامان بقتل الذرية لم يرد إلا في هذه السورة ﴿ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴿٢٥﴾ ﴾ ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ ﴿٢٦﴾ ﴾ ودلالته على تصاعد شراسة المجادلين في آيات الله.

- تأكيد صفة الإيمان في كل مرة ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ ﴾ ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ ﴾ لإبراز الصراع بين الإيمان والكفر، وقد شابه مقام هذا الرجل المؤمن مقام أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ إذ آمن بالنبي ﷺ لما سمعه ولم يكن من آله، وأفاد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منه في نصرة الحق، ولما جاء عقبة بن أبي معيط إلى النبي ﷺ وهو بفناء الكعبة ليخنقه بثوبه، أقبل عليه فأخذ بمنكبه ودفعه عن خليله ﷺ، وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ ﴾[(١)]

-تكرار لفظ (البأس) مع غيرها من ألفاظ الشدة لترهيب هؤلاء الطغاة المجادلين، نحو ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ ﴿٢٩﴾ ﴾ ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ﴿٨٤﴾ ﴾ ﴿لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ﴿٨٥﴾ ﴾

- إيجاز ما حدث بعد ذلك من تفصيلات، والاستطراد بالقصة حتى يصلها بالآخرة، وإذا هي محاجة وحوار وجدال بين الضعفاء والمستكبرين وخزنة جهنم يطلبون فيه الخلاص[(٢)] ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ ﴾.

---

(١) الحديث في صحيح البخاري، كتاب فضائل الأنبياء، باب (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه).

(٢) في ظلال القرآن: ٥/ ٣٠٦٧

## المبحث الحادي عشر
## مناسبة استهزاء فرعون بموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لسورة (الزخرف)

وهو الحدث الجديد الذي يُصطفى في هذه السورة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَضۡحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنۡ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكۡبَرُ مِنۡ أُخۡتِهَاۖ وَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٌ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ ... ﴾

وقد عرضت السورة ما كانت تلاقيه الدعوة الإسلامية من مصاعب، واعتراضات وتقرير القرآن حقائقه وقيمه مكان الخرافات، والقيم الجاهلية الزائفة(١)؛ لأن مقصودها «بيان القيم القرآنية ونقض التصورات الجاهلية الزائفة»(٢) وجاء لفظ (الزخرف) الذي وسمت به السورة ليوحي بكثير مما تضمنته، فالزخرف هو الذهب ثم سُمي كل زينة زخرفًا، وهو متاع، وسنرى أثر هذا المتاع أو التمتيع الذي شاع ذكره في ثناياها وما عقدت عليه معانيها، ورحم الله البقاعي حين جعله محورًا تدور عليه من وجه دقيق، حين جعل مقصودها: البشارة بإعلاء هذه الأمة بالعقل والحكمة والعلم ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٌ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ ﴿٤٤﴾ ﴾ وأن السبيل إلى هذا الإعلاء الترفع عن زخرف الدنيا ومتاعها(٣)؛ لأن التمتيع كان سببًا لبطرهم

(١) ينظر: في ظلال القرآن: ٥/ ٣١٧٤؛ أهداف كل سورة ومقاصدها: ١/ ٣٥٦
(٢) المختصر في التفسير: ص٤٨٩
(٣) نظم الدرر: ٧/ ٣

وتماديهم، والاستعانة بالنعمة على عصيان أمر الله[١].

لقد حكت السورة ازدراء الكفار للنبي ﷺ بسبب هذا التمتيع ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾وقد فطن الزمخشري للعلاقة البليغة بين بسط النعمة للمترفين وأثرها في كفرانهم، وأن النظم في الآية السابقة أراد بالتمتيع ما هو سبب له، وهو اشتغالهم به عن التوحيد ومقتضياته...وأنه لما جاءهم الحق جاءوا بما هو شر من غفلتهم بأن ضموا إلى شركهم معاندة الحق ومعاداة الرسول والاستخفاف بحكمة الله في تخير محمد من أهل زمانه بقولهم ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[٢]

«ولهذا تعرض حلقة اللقاء الأول بين موسى وفرعون في إشارة مقتضبة تمهيداً لاستعراض النقطة الرئيسية المقصودة من القصة في هذا الموضوع، وهي تشابه اعتراضات فرعون وقيمه مع اعتراضات مشركي العرب وقيمهم»[٣] فتلتقي هذه الحلقة بالحلقة المشابهة لها من قصة العرب، تحكي ذات اعتراضاتهم، واعتزاز فرعون بذات القيم التي يعتزون بها[٤].ولقد دلت بخصائص نظمها على هذا المعنى، ومنها:

- التناسب بين مطلع السورة ومطلع قصة موسى﴿إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ فالضحك في مقابلة الحق «كناية عن الاستخفاف بالآيات

(١) ينظر: نظم الدرر: ٧/ ٢٣

(٢) الكشاف: ٣/ ٤٨٥؛ نظم الدرر: ٧/ ٣٣؛ تفسير أبي السعود: ٨/ ٤٥

(٣) ينظر: في ظلال القرآن: ٥/ ٣١٩٤

(٤) السابق: ٥/ ٣١٨٤

والتكذيب»[(١)] وحكايته بالفعل المضارع دالٌ على استمرارية الضحك والاستهزاء[(٢)]

- الاستفهامات التقريرية على لسان فرعون في فخر وخيلاء ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ...﴾

- دلالة اسم الإشارة على الاستهزاء والسخرية بموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في قوله ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ لتجرده من الجاه الأرضي، وكذلك الدقة في دلالة لفظ (مهين) على احتقار موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

- التناسق بين اقتراحه ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ واقتراحهم ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[(٣)]

- ومن المناسبات أنه لما ضرب لهم المثل بالأمم السابقة وهدّد بالانتقام ممن شابهوهم في قوله ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾ بدأ بذكر إبراهيم وقومه وليس بنوح كما جرت العادة، وذلك إبطالًا لقول المترفين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ بأن أولى الآباء بالاقتداء هو أبوهم إبراهيم الذي يفتخرون بنسبته ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾[(٤)]

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٦/ ٢٢٥

(٢) ينظر: نظم الدرر: ٧/ ٣٤

(٣) ينظر: في ظلال القرآن: ٥/ ٣١٩٤؛ التحرير والتنوير: ٢٦/ ٢٢٤

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٥/ ١٩٢

## المبحث الثاني عشر
## مناسبة الإشارات السريعة لقصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لسورتي الأحزاب والصف والنازعات

وتؤدي الإشارات السريعة من قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في بقية السور الدور ذاته من التناسب ومقصود السورة، فترد إشارة في سورة (الأحزاب) التي كانت عبارة عن تشريعات وتنظيمات وأنباء متعلقة بأحواله ﷺ والذب عنه، ومحورها «عناية الله بنبيه ﷺ وحماية جنابه وأهل بيته»(١) حين أوذي، وانطلقت ألسنة السوء تهمس: إن محمداً تزوج مطلقة ابنه زيد بن حارثة وخالف مألوف العرب(٢)، هنا يجيء قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾ ﴾ **وذلك لمناسبة إيذاء المنافقين** النبي، وتحذيرهم من إيذائه ﷺ(٣) كما فعل اليهود بموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حيث «كان رجلاً حيياً ستيراً ما يرى من جلده شيء استحياءً منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده...»(٤).

كما ترد إشارة سريعة لحوارٍ بين موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وقومه في سورة (الصف) ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾ وفيها تأكيد موسى رسالته، ولم ترد هذه المقولة (إني رسول الله إليكم) على لسانه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلا في سورة الصف؛ ليتناسب ومقصودها الذي هو تحفيز المؤمنين لنصرة الدين والجهاد في

---

(١) المختصر في التفسير: ٤١٨

(٢) ينظر: في ظلال القرآن: ٥/ ٢٨٨٣؛ التحرير والتنوير: ٢٢/ ١٢٠

(٣) ينظر: في ظلال القرآن: ٥/ ٢٨٨٣

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب (الآية)

سبيله[١] من جهة ولتقرير أن قومه لما انحرفوا لم يعودوا المؤهلين لنصرة دينه، ولتأكيد وحدة الرسالة بين الأنبياء بدليل ذكر رسالة عيسى بعد ضلال قوم موسى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ ﴿٦﴾ ﴾ ليقرر أنه امتدادٌ لرسالة موسى وتمهيدٌ للرسالة الأخيرة، التي يؤديها إلى الرسول الذي بشر به[٢].

وأخيرًا ترد إشارة في سورة (النازعات) مختصرة سريعة المشاهد للتركيز على حقيقة الآخرة؛ تبدأ بنداء الله موسى في الواد المقدس، وأمر التكليف الإلهي ﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ مُوجزًا المشاهد بعد ذلك للتركيز على الآخرة ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ ﴾ واللافت للانتباه في تركيب هذه الآية: تقديم عقوبة الآخرة على الأولى؛ لأنها الأنسب للسياق الذي يتحدث عن الآخرة[٣] و«لهز القلوب المكذبة بالبعث والجزاء من خلال عرض مشاهد الموت والبعث والحشر والقيامة»[٤] كما يتسق مع فواصل السورة لفظيـًا.

(٣) ينظر: مختصر التفسير: ٥٥١

(٢) ينظر: نفسه

(٣) ينظر: في ظلال القرآن: ٦/ ٣٨١٤؛ المختصر في التفسير: ٥٨٣؛ نظم الدرر: ٨/ ٣٠٨

(٤) في ظلال القرآن: ٦/ ٣١٨٥

## الخاتمة

نخلص مما سبق إلى:

١- أن قصة موسى في كل مرة تُحكى فإن المقام يقتضيها، والأحداث التي تحيط بالرسول تتناسب مع إعادتها، ولمقصود السورة الدور الأعظم في اصطفاء الحادثة من قصصه عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفي ما بلغته هذه الأحداث من المناسبة البليغة لأهدافها ومقاصدها:

ففي البقرة التي نزلت لبيان وظيفة الإنسان ودوره في عمارة الأرض، تُصطفى قصة البقرة دون سائر أحداث قصصه؛ لتحذير الأمة المسلمة من التلكؤ في تنفيذ أوامر الله وتطبيق شريعته، وفي سورة النساء تذكر شنائع بني إسرائيل لمناسبة تبجح يهود المدينة على النبي ﷺ، وفي المائدة تُصطفى حادثة الامتناع عن القتال مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ودخول بيت المقدس؛ لعرض صورة من صور نقض الميثاق مع الله والوفاء بالعقود وأعظمها عهد الله، وهو الأمر الذي سيقت المائدة لأجله، ثم التركيز على إيمان الفتية مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهم قليل، لا مجموعة من الشعب الإسرائيلي؛ لأنه الأنسب لمقصود السورة من جهة أن الدعوة للإيمان لا ينتفع بها أي أحد...وهكذا يصطفي النظم في كل سورة ما يتناسب ومقصودها.

٢- دور خصائص نظم السورة والدقة في اختيار ألفاظها في الكشف عن هذه الدقائق كما دل اختصاص سورة البقرة بتوجيه الخطاب المباشر ليهود المدينة؛ لاستجلاب إيمانهم بتذكيرهم بنعمه عَزَّوَجَلَّ عليهم دون قصص موسى في سائر القرآن، وتكرار لفظ الجدال في سورة غافر وعلاقته بجدال مؤمن آل فرعون قومه وصراعه مع الباطل الذي هو مقصود السورة، وإيثار لفظ الضحك في سورة الزخرف، ودلالة التعبير به بصيغة المضارع على تجدد اغترار فرعون وقومه بالقيم والتصورات الزائفة، وهذا جزء من التناسب بين القصة ومقاصد القرآن، وهكذا بقية السور.

# فهرس المصادر والمراجع

١. آل حم غافر وفصلت – دراسة في أسرار البيان، محمد أبو موسى، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٣٠هـ٢٠٠٩م.

٢. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق/ أبوالفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٨هـ١٩٨٨م.

٣. أسباب نزول القرآن، الواحدي، تحقيق:كمال بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، دار الجيل، بيروت (ط، ت:د)

٥. أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، عبدالله شحاتة (ط:د) الهيئة العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٦م.

٦. البرهان في تناسب سور القرآن، ابن الزبير الغرناطي، تحقيق:محمد شعباني، وزارة الأوقاف، المغرب (ط:ت)١٤١٠ هـ ١٩٩٠م.

٧. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق/ أبوالفضل إبراهيم، دار التراث (ط، ت:د)

٨. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل السامرائي، ط١، الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٠م.

٩. تاج العروس، الزبيدي، دار الفكر، بيروت، ط١(ت:د)

١٠. تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث، بيروت، ط٢، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

١١. تفسير البحر المحيط، أبوحيان، تحقيق:عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

١٢. تفسير التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية، تونس (ط، ت:د)

١٣. التفسير الكبير، الرازي، دار إحياء التراث، بيروت، ط٣، (ت:د)

١٤. التناسب في القرآن الكريم – صوره وأسراره البلاغية، رسالة عالِمية (دكتوراه) البلاغة والنقد، كلية الآداب، جامعة الدمام، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

١٥. حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي، طبعة بولاق (ت:د).

١٦. حاشية شيخ زادة، شيخ زادة، محي الدين (ط، ت:د)، المكتبة الإسلامية، تركيا

١٧. دراسات فنية في قصص القرآن، محمود البستاني، دار البلاغة، بيروت، ط١، ١٩٨٩م

١٨. دلالة السياق، ردة الله الطلحي، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٢٤هـ.

١٩. دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن، عبدالوهاب أبو صفية الحارثي، ط١، ١٤٢٩هـ

٢٠. دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (دراسة نظرية تطبيقية) فهد الشتوي، رسالة تخصص، الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥

٢١. الدلالات السياقية للقصص القرآني –قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنموذجًا، بوزيد رحمون، جامعة فرحات عباس، الجزائر، ٢٠١١م

٢٢. دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمن، ترجمة / كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة (ط، ت:د).

٢٣. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، الآلوسي، دار إحياء التراث، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ ١٩٨٦م

٢٤. صحيح البخاري، الجامع الصحيح، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ ١٩٩٣م

٢٥. علاقة المطالع بالمقاصد (دراسة بلاغية نظرية تطبيقية) إبراهيم الهدهد،

مكتبة الإيمان، ط١، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م

٢٦. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١٠، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م

٢٧. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، دار المعرفة، بيروت، لبنان (ط:د).

٢٨. لسان العرب، ابن منظور، تحقيق/ عبدالله الكبير وآخرون، دار المعارف (ط، ت:د).

٢٩. المختصر في التفسير، نخبة من العلماء، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، ط ٢، ١٤٣٥هـ

٣٠. المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، تحقيق:محمد عيتاني، ط٤، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٨م

٣١. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، ابن الزبير الغرناطي، تحقيق سعيد الفلاح، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م

٣٢. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، تحقيق:د.عبدالسميع حسنين، ط ١، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م

٣٣. من أسرار المناسبة في القصة القرآنية – قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نموذجا (الجزء الأول) المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد (١١) العدد (٢) ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م.

٣٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

# *The Secrets of Appropriateness in the Quranic Story of Moses as a Model (Part II)*

***Mona Fahd Ahmad Al-nasser***

*Assistant Professor of Rhetoric Arabic Language and Literature Department*
*College of Literature - University of Dammam*

## *Abstract*

This is a study of relevance in an event in the Quranic story of Moses and the general meaning of the surah during the sequence of the story. It reveals some of its rhetorical details. The study also refers to the relevance of the story to the da'wah. Finally, the study shows the importance of knowing the context to unravel the secrets of relevance.

**Key words:**
appropriateness, story, contex.